**كلية : الآداب**

**القسم او الفرع : التاريخ**

**المرحلة: الثالثة**

**أستاذ المادة : أ.د. احمد راشد**

**اسم المادة باللغة العربية : تاريخ العراق الحديث**

**اسم المادة باللغة الإنكليزية : Modern History of Iraq**

**اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: العراق بين الاحتلالين المغولي والصفوي**

**اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية : Iraq between the Mongol and Safavid occupations**

**العراق بين الاحتلالين المغولي والصفوي**

**خطة المغول العامة-:**

كان غزو المغول للعراق جزءاً من حركة واسعة تستهدف اقامة إمبراطورية مغولية نجحت فعلاً تحت قيادة( جنكيز خان ١٢٢٧ – ١١٥٤ ) م باحتلال جزء كبير من الصين واواسط اسيا وايران وشرقي اوربا، وكان تقدم( هولاكو )الى العراق متمماً لغزوهم للعالم الاسلامي الشرقي الذي بدأه( جنكيز خان ) في ٦١٦ هـ ١٢١٩ /م، وقد ساعدهم على تحقيق هدفهم الانحلال والانقسام الذي يسود البلاد.

بدأ التهديد المغولي لتخوم العراق سنة ٦١٨ هـ ١٢٢١ /م، وارتبطت نتائجه بمصير الاقاليم المحيطة به من الشرق والشمال ولاسيما دولة خوارزم التي كانت بمثابة السد الذي يدرأ عنه الأخطار القادمة من الشرق، لأن الخليفة العباسي لم يكن بإمكاناته العسكرية والسياسية المحدودة يستطيع مواجهة الإمبراطورية المغولية التي

ضمت، وقت سقوط بغداد في شباط ١٢٥٨ م اغلب بلاد الصين وتركستان ومقاطعات من الهند واجزاء كبيرة من روسيا وايران واسيا الصغرى وكانت تملك مصادر هائلة من الرجال والسلام والمال.

وتمكن المغول من القضاء على الدولة الخوارزمية وقتل زعيمها جلال الدين منكبرتي في ٦٣٨ هـ / ١٢٣٠م، واتسمت غاراتهم بالسرعة والبطش والوحشية لإشاعة البلبلة والفوضى والرعب في نفوس السكان ومارست القوات المغولية في هجماتها ابشع اساليب الفتك والتقتيل، ولم يظهر الخلفاء العباسيون المتأخرون اهتماماً جدياً

بالخطر الداهم المحدق بادئ الامر، ولم يدركوا عميقاً طبيعة ذلك الخطر الذي كان يتهدد بلادهم، ولذلك لم يضعوا سياسة واضحة لمعالجته او درئه او الاحتياط له، وكل ما فعلوه هو جمع قوات بصورة مرتجلة وارسالها الى مواطن الخطر القريبة، ثم تسريح اكثر الجنود بعد تراجع العدو والانتظار الى حين ظهور الخطر من جديد، في

وقت كان المغول يشكلون اعظم خطر يهدد كيان الدولة والامة، وقد اخذت مظاهر الانحلال السياسي تتزايد بعد ان تولى( المستعصم بالله )الخلافة سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م وقد تبوأها في احلك ظرف واجهته الدولة العباسية، ولم يكن لهذا الخليفة شخصية كفوءة تؤهله لحكم البلاد وزعامة العالم الاسلامي، فقد كان لين العريكة مستضعف الرأي ضعيف التدبير غير عارف بمشاكل عصره، غير مهيب في النفوس، وفي عهده تفرق الجند بعد ان قطعت ارزاقهم فلحق بعضهم بالشام واضطر بعضهم الى التسول.

**احتلال العراق ومقاومة اهله :**

وفي عام ٦٥١ هـ ١٢٥٣ /م ارسل الامبراطور( مانغوخان هولاكو )لفتح اسيا الغربية، فأخذت جيوشه تتحرك من مختلف المواقع التي كانت ت ا ربط فيها وفي خلال تقدمه البطيء دمر قلاع الإسماعيلية واسر زعيمها( خورشاه )في ٦٥٤ هـ ١٢٥٦ /م ثم وصل همدان في السنة التالية، ومن هناك ارسل الى الخليفة يتهدده ويتوعده مطالباً اياه بالتسليم ورفض الخليفة ذلك الطلب.

وفي اوائل محرم ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ /م اشتبكت القوات العباسية يقودها( الدويدار الصغير مجاهد الدين ايبك)، بالقوات المغولية عند الدجيل( بين بغداد وسامراء) وانتهت المعركة بتحطيم الجيش العباسي، وتقدم( هولاكو )من خانقين بالجيش المغولي الرئيسي المؤلف من ٢٠٠,٠٠٠ محارب الى بغداد، فنزل الجانب الشرقي منها في اواسط محرم، واطبقت قواته عليها من كل الجهات وبدأ القتال في اواخر محرم، ونجح المغول في اختراق السور من بعض المواضع.

وفشلت محاولات الخليفة في التوصل الى حل سلمي، فاضطر الى الخروج مع اسرته لمقابلة هولاكو، فحجزوا ثم قتلوا، ودخل الغزاة بغداد في ٥ صفر ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ /م، وفتكوا باهلها سبعة ايام او تزيد ولم يفرق فيها بين الرجال والنساء والاطفال حتى لم يبق من اهل البلد ومن التجأ اليهم من اهل السود الا القليل، والقيت في النار معظم البلد،" واستولى الخراب على المدينة وكانت القتلى في الدروب والاسواق كالتلول، ووقعت الامطار عليهم ووطأتهم الخيول فاستحالت صورهم وصاروا مثلة بتشوه

الخلقة"...، وقدر عدد من قتل من اهل بغداد بما يزيد على ٨٠٠,٠٠٠ نفس، عدا من القي من الاطفال في الوحل ومن هلك في القنى والابار والسراديب فمات جوعاً وخوفاً، وربما كان في ذلك الرقم شيء من المبالغة الا انه يدل على عمليات الاستباحة، امر هولاكو بإصلاح بعض ما خرب وترميم الاسواق ورفع جثث القتلى من الناس والحيوان، ورحل هولاكو عن المدينة بعد ان فوض امرها الى جماعة معينة لإعادة تنظيمها، وابقى على التقسيمات الادارية كما كانت في العصر العباسي الاخير، ووضع على رأس الادارة المسؤولين في العهد السابق للاستفادة منهم ريثما تتكون مجموعة من الاداريين المغول، ومن هؤلاء( مؤيد الدين بن العلقمي )وزيراً،( وفخر الدين الدامغاني )صاحب الديوان والقضاء، و(نجم الدين بن الدرنوس)، وعين شحنة للمدينة على بهادر، وابقى فرقة من الجيش المغولي مؤلفة من ثلاثة الاف محارب حامية للمدينة، وارسلت قوات مغولية الى انحاء العراق الاخرى، فأخضعت مدنه وقراه، ورفضت ربل وواسط الخضوع للمحتل الغاشم، وابدت من المقاومة ما دفع بالغزاة الى تشديد حصارهم عليهما فكانت خسائر ابنائها نحو ٤٠,٠٠٠ قتيل وثارت الموصل في ٦٥٩هـ ١٢٦٠ /م وشجعها الانتصار الكبير الذي حققه العرب في معركة عين جالوت تلك السنة، واستطاعت بقيادة الملك( الصالح بن اسماعيل )ان تقاوم القوات المغولية مدة تزيد على السنة عجز فيها الغزاة عن اختراقها، ولكن فقدان المدينة للمؤن اجبر امريها على طلب الصلح فواق القائد المغولي (سنداغو)، ولكن لما خرج اليه الامير وولده قتل الولد وارسل الامير واخاه الطفل ولقبه الكامل مع بعض اصحابهما الى هولاكو، فأمر الطاغية بسلخ وجه الصالح بن اسماعيل وهو حي ثم قتل اخاه مع من رافقهم من الاتباع، ودخل الجيش المغولي الموصل في رمضان ٦٦٠ هـ ١٢٦١ /م فقتل غالب اهلها واخذ منهم اسرى حتى خوت المدينة، وبعد انتهاء ما استباحتها ورحيل القوات المغولية عاد اليها من كل مختبأ من اهلها في الجبال والمغارات.

وهكذا خضعت اغلب مناطق العراق، وقتل عدد كبير من سكانه وخربت اجزاء كبيرة منه، وقتل معظم افراد الاسرة العباسية ما عدا انفار قلائل استطاعوا الفرار والنجاة ومنهم( ابو القاسم احمد بن الظاهر

بأمر الله )الذي اعلمه سلطان مصر( الظاهر بيبرس )سنة ٦٥٩ هـ ١٢٦٠ /م خليفة بأسم ( المستنصر بالله)، ولم تكن له من السلطة الا الاسم.

**إدارة الاحتلال :**

تحول العراق بعد هذه الكارثة الى ولاية من ولايات الامبراطورية الايلخانية المترامية الأطراف التي شملت في اوج قوتها البلاد الواقعة ما بين نهر جيحون والمحيط الهندي ومن السند الى الفرات مع جزء من اسيا الصغرى وبعض القوقاز، قاعدتها اذربيجان وتابعة من الناحية الشكلية للإمبراطورية المغولية، بعدما كانت بغداد قاعدة الخلاقة وعاصمة العالم الاسلامي مدة تربو على خمسة قرون اصبحت تبريز ثم سلطانية قاعدتي الايلخانيين الرئيسيتين، وكان طبيعياً ان تتوجه عناية حكام هذه الامبراطورية الى ايران دون العراق.

**وقسم العراق على ولايات ثلاث:**

١ – العراق ، وهم القسم الاهم، ويمتد ما بين الزاب الاعلى الى عبادان طولاً، ومن– القادسية الى حلوان عرضاً.

٢– الجزيرة الفراتية، وفيها الموصل وسنجار والعمادية واربيل .

٣ – بلاد الجبل، وفيها مدينة شهرزور .

وكان العراق احدى الولايات الايلخانية المهمة التي كانت تسمى ممالك، ويدعى حاكمها احياناً ملوكاً، وكانت عاصمته بغداد وترد في كتابة المعاصرين باسم مدينة السلام، وقد زارها الامراء الايلخانيين عدة مرات.

والغيت في هذا العهد اكثر الدواوين وبقي ديوان الوزير وديوان الزمام ثم ادمج الديوانان في ديوان واحد صار رئيسه صاحب الديون وهو الحاكم الاعلى في العراق ، وهو الذين يعين كبار الموظفين وغيرهم، والى جانب صاحب الديوان هناك كاتب السلة، وهو مسؤول عن كتاب الولاية وبيده اسرارها، ويطلق عليه احياناً اسم( كاتب العراق) ، وبقي منصب قاضي القضاة وهو الذي يعين القضاة في مختلف

انحاء البلاد ويتولى امر مراقبتهم ونقلهم وعزلهم، وبقيت الحسبة وصاحبها المحتسب ومهمته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومراقبة الاسواق كما كانت هناك وظيفتان اداريتان هما :الصدر والناظر، والصدر يطلق على رئيس الوحدة الادارية ويشرف على ادارة القوات المسلحة في تلك الوحدة وحماية امنها، اما الناظر فهو موظف من اولى مهماته النظر في الشؤون المالية.

واهم الوظائف العسكرية :الشحنة ونائب الشركة، فأما الشحنة فكان كالقائد العسكري الاعلى مهمته المحافظة على الامن والقضاء على الثورات وحركات التمرد ومراقبة صاحب الديوان لضمان ولائه للدولة، ولهذا ظل امر هذه الوظيفة بأيدي المغول عامة الى اخر العهد الايلخاني، اما نائب الشرطة فأنه مسؤول عن المحافظة على الامن في بغداد.

وكانت ادارة الامبراطورية الايلخانية لا مركزية، ويتمتع حاكم العراق بدرجة من الاستقلال في ادارة شؤونه مقابل تقديم المال اللازم لخزينة الامبراطور وارسال القوات العسكرية المناسبة له في حالات الحرب، ولكن هذه اللامركزية لم تكن كاملة لأن الحاكم الايلخان كان يزور العراق ويقضي الشتاء بين ربوعه في بعض الاحيان، كما كان يرسل مشرفاً يستقصي شؤونه عن كثب ويرفع اليه تقريراً عنه.

وكانت سلطة الايلخان غير محدودة، وله حق قتل من يريد ولم تكن للشعب حقوق بل كانت عليهم واجبات اهمها الطاعة ودفع الضرائب المتنوعة، ومن اهم سمات حكومة العراق في هذا العهد عدم الاستقرار والفساد.

الا ان ذلك العهد لم يخل من اعمال عمرانية نادرة ولاسيما في عهد الايلخان السابع( غازان محمود- ١٣٠٣ ١٢٩٥م) ، الذي اصبح الاسلام في عهده دين الدولة الرسمي، الا ان تلك الاصلاحات كانت وقتية وذات اثر محدود فاستمر الامن مضطرباً خارج المدن، واستمرت البلاد منهوكة القوى مهيضة الجناح لما اصابها من الخراب، ومن المعلوم ان رخاء العراق يعتمد بالدرجة الاولى على الزراعة التي يقوم ازدهارها على نظام الري، ولكن السلاطين الايلخانيين وحكامهم في العراق لم يهتموا بتطهير الانهار والقنوات، ولا بفتح قنوات جديدة، ومن نتائج هذا الاهمال ان الفيضانات سببت دماراً

كبيراً ولعل من اشهرها غرق بغداد في السنوات ٦٧٦ و ٦٨٣و ٧٢٥ ، وغرق الحلة والكوفة في ٦٨٥، ومن الطبيعي ان ظروف البلاد الاقتصادية والمعاشية المنخفضة والتخلف وقلة عدد المستشفيات وعدم العناية بها، ادى الى ان يتعرض العراق لهجمات شديدة من الامراض الوبائية والمتوطنة.

ومع قلة الاهتمام الذي وجهته الدولة الى حالة العراق الاقتصادية، كانت الضرائب ثقيلة وخاضعة لأهواء الحكام وجشعهم الذي لم يعرف الحدود، ومن تلك الضرائب :ضريبة الخراج وضريبة الرؤوس او الجزية وهي عامة على الجميع، وضريبة الاسواق والعقارات والتمغات وضريبة المراعي وخصة الديوان من الاوقاف ومقدارها العشر، اضافة الى ما كانت تحصل على النقود وانقاص نسبة الذهب والفضة فيها ومصادرة الموظفين، واخيراً ما كان ينفقه اصحاب الدور على الجنود الذين كانت تفرض اقامتهم عليهم احياناً، اما اسلوب جباية الضريبة فكانت على

**ثلاثة انواع هي** :الضمان والجباية المباشرة والاقطاع، وكان التعسف السمة البارزة في اساليب الجباية المختلفة، وقد ادى ثقل الضرائب وتعسف جبايتها وضعف العناية بنظام الري، الى تدهور احوال البلاد اقتصادياً وازدياد الخراب في بعض المدن فانحسرت المظاهر الحضارية وانتعشت البداوة مكانها.

لم يطل حكم السلالة الايلخانية اكثر من قرن من الزمن، وكان ذلك متوقعاً لكيان لا يقوم الا على القوة والبطش، ومن ابرز اسباب ضعفهم هو الصراع على السلطة بين امراء البيت المالك، وقد ظهرت بداياتها مع موت الايلخان الثاني( اباقا) ابن هولاكو في ٦٨٠ هـ/ ١٢٨٢ م مما فسح المجال لتدخل زعماء المغول، وكانت اطماع اولئك سبباً لقيام الفتنة في اواخر ذلك العهد ثم انهياره، فلما مات الايلخان التاسع( ابو سعيد ٧١١ – ٧٣٦ هـ/. ١٣١٦ – ١٣٣٥ م )ولم يخلف وريثاً تسابق الطامعون الى استغلال الفرصة للوصول الى الحكم، وكانت نتيجة ذلك اندلاع حرب اهلية عمت ارجاء البلاد وانتهت عندما تسنمت الحكم الاسرة الجلائرية في ٧٣٨ هـ/. ١٣٣٧ م.